DEANSHIP OF
LIBRARY AFFAIRS

عمادة شؤون المكتبات

المملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود

Kingdom of Saudi Arabia

King Saud University

P.O. Box 22458, Riyadh - 11495

NO. .... الرقم :

King Saud University 1957

جامعة الملك سعود

Copyright © King Saud University

٢١٤

ش ٠ خ شرح الفقه الاكبر لأبى حنيفه تأليف الخطيرى اسماعيل بن اسحق ـ كان حيا قبل سنة ٩١٢ هـ ٠ بخط محمد بيك فليه وى سنة ١٠٦١هـ

١٦ ق ١٩ س ٢٠×١٥سم

٥٠٠٣ نسخة جيدة خطها نسخ معتاد ٠ وورد على صفحة العنوان أنه مطيع الحكم بن عبد الله البلخى ٠

الازهرية ٣ : ٢٢٩

١ ـ أصول الدين أ ـ المؤلف
ب ـ الناسخ ـ تاريخ النسخ

هذا كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة رحمه الله

شرح أصول الدين ومحمد ... لأبي مطيع الحكم

بن عبد الله البلخي رحمه الله

مكتبة جامعة الملك سعود قسم المخطوطات

الرقم: ٣٠٠٥

العنوان: شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة

المؤلف: ...

تاريخ النسخ: ١٢٠٣هـ

اسم الناسخ: حسين ...

عدد الأوراق: ١٦ق مقاس ...

ملاحظات: ...

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لمستحق الحمد قبل عباده وصلى الله على محمد وآله اجمعين .
اما بعد فقد سألتموني اكرمكم الله تعالى بالتقوى ان اشرح لكم
الفقه الاكبر الذي ينسب الى ابي حنيفة رضي الله عنه باسانيد
صحيحة فاجبت ملتمسكم بعون الله تعالى وحسن توفيقه انه المعين
والموفق قال ابو حنيفة رحمه الله لا نكفر احدا بذنب ولا ننفي احدا
من الايمان قال رحمه الله هذه المسئلة مختلف فيها قالت الخوارج
اذا ارتكب المؤمن كبيرة من الكبائر فانه يكفر ويزول عنه الايمان
وقالت القدرية والمعتزلة يخرج بها من الايمان ولا يدخل في الكفر
ويكون بينهما . فاذا تاب الى الله تعالى واقلع عنها يدخل في حيز الايمان
واذا مات قبل ان يتوب عنه يدخل في حيز الكفر ويخلد في النار
واحتجت المعتزلة بقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا فيها . اخبر انه يخلد في النار والخلود المقطوع به انما هو للكافر
الا انا نقول لهم انما قلتم واحتججتم بهذه الآية لضلالتكم ومخالفتكم
الاجماع فلو ساعدتكم السعادة لاتبعتم السنة وما ابتدعتم وما
خالفتم الصحابة لان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ومن بعدهم
من اهل التفسير اجمعوا على ان المراد بالآية استحلال القتل وهكذا

قال

قال ابن عباس رضه وهو ترجمان القرآن وعلى انا لا نسلم ان الخلود
يعبر به عن الابد وانما يعبر به عن طول الزمان وقد اجمعوا على هذا
ارباب اللسان واصحاب البيان لانه يقال اخلد الامير فلانا في السجن
اي اطال حبسه فيه وقال الله تعالى خبرا عن بلعام بن باعورا ولكنه
اخلد الى الارض اي مال اليها واطمأن بها فان قيل يروى عن النبي عم انه قال
من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر وفي حديث آخر بين الكفر والايمان ترك
الصلوة قلنا تاويل الخبر كتاويل الآية على ما بيناه من الدليل على ان الايمان
لا يرتفع بالكبيرة لقوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا امر بالتثبت
في نبأ الفاسق فلو صار كافرا لنهى عن قبول شهادته وحديث ماعز بن
مالك رضه ايضا لما اقر بالزنا بين يدي النبي عم امر برجمه فلو صار مرتدا
لامر بقتله او يسترجعه الى الاسلام والمعنى فيه ان الايمان محله .
القلب والمعاصي محلها الاعضاء وهما محلين مختلفين فلا يتنافيان
وقوله وان نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وهذه مسئلة مختلف فيها
بيننا وبين المجبرة لانه لا يرى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا
واحتجوا بقوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قلنا الآية في نفي المضرة
وبه نقول ان مضرة المعصية لا يتعدى العاصي كما قال الله تعالى ولا تزر
وازرة وزر اخرى وانما عرف وجوب الامر بالمعروف باية اخرى
وهو قوله تعالى يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله عم وان
ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك وهذه مسئلة

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات

بيننا وبين القدرية والمعتزلة انهما ينفيان ارادة الله تعالى ومشيته عن
فعل العبد اذا كانت معصية فقالوا ان معصية العاصي وكفر الكافر ليس
بمشية الله تعالى وارادته لانه لو اراد معصية العاصي وكفر الكافر ثم عذبه
عليها كان ذلك جوراً منه وحاشا ان يوصف الله تعالى بالجور والظلم ولهذا
يسموننا اهل الجور وسموا انفسهم اهل العدل قلنا لهم هذا من سخافتكم
وجراءتكم على الله تعالى وقلة عقولكم وعدم فهمكم حيث غلبتم ارادة
المخلوق على ارادة الخالق وحاشا ان يغلب ارادة الله تعالى بل هي غالبة
ومشيته نافذة ولا يكون بارادته معصية العاصي وكفر الكافر جايز
لانه بين لهم طريق الهدى والضلالة وان الله تعالى يحدث لهم الاستطاعة
ساعة فساعة وليس لهم ان يعرفوا حقيقة الارادة اذ لو عرفوها لكانوا
امثاله وحاشا ان يوصف الله تعالى بالامثال ثم المذهب الصحيح هو مذهب
اهل السنة والجماعة ان افعال العباد على نوعين منها ما هو طاعة ومنها
ما هو معصية فالطاعة بمشية الله تعالى وارادته وقضائه ورضاه وحكمه
وامره ان كان فرضاً والمعصية بهذا كله دون رضاه وامره فان قيل
ما معنى قول الله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من
سيئة فمن نفسك قلنا معناه ان لا تضيف الشر الى الله تعالى عند الانفراد
مراعاةً للادب وان كان حصوله ذلك بتخليق الله تعالى اياه وذلك لان
الاضافة على نوعين اضافة تحقيق واضافة اكرام فاضافة التحقيق
مثل قوله تعالى ولله ملك السموات والارض واضافة الاكرام مثل قوله تعالى

ناقة الله

ناقة الله ورسول الله والطاعة والمعصية خارجان عن اضافة التحقيق لان
ذلك مذهب المجبرة فبقيت اضافة الاكرام فالطاعة مكرمة مرضية جاز
ان يضاف الى الله تعالى عند الانفراد فيقال الخير من الله تعالى والشر ليس بمحل
الاكرام حتى يضاف الى الله تعالى عند الانفراد ولكنه يضاف الى الله تعالى
عند الجملة كما قال الله تعالى قل كل من عند الله فان اشكل هذا عليك بالافعال
فاعتبره بالاعيان فانه لا يقال يا خالق الحيات والعقارب والخنازير
مراعاة للادب ولكن يقال يا خالق كل شيء وقوله ولا نتبرأ من احد
من اصحاب النبي عم هذا بيننا وبين الروافضة انهم يتبرؤن من
الصحابة الا من علي رضوان الله عليهم اجمعين بقوله عم اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وفي هذا اخبار كثيرة وقوله
لا نوالي احداً دون احد هذا بيننا وبين الشيعة انهم يوالون علياً
فحسب وهذا قريب من مذهب الروافضة ايضاً وقد بيننا فساده وقوله
وان نرد امر علي وعثمان رضي الله عنهما الى الله تعالى عالم
الخفيات لم نرد بهذا الشك في امرهما ولكنا اخترنا اسلم الطرق و
ان اسلمها ان نكف السنتنا ونستعين بالله تعالى كما كف الله تعالى سيوفنا
عن تلك الغيبة قال ابو حنيفة رضه الفقه في الدين افضل من الفقه
في العلم لان الفقه في الدين اصل والفقه في العلم فرع وفضل الاصل
على الفرع معلوم كما قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ولا شك
ان العبادة لا يلزمه الاسلام لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس

وهو نصيرها قبل الانبياء الوفيقة
انتعام يقال نقهت ان السماء فقهنا وعن
له ان يقال ابي حنيفة رحمه وهو معرفة النفس
ما لها وما عليها الى الشرع
الخبر

الا ليعبدون اى يوحدون ثم العلم يبنى على الاسلام فصار الدين هو التوحيد
والعلم هو الديانة يعنى الشرايع وهى بعد التوحيد ثم الدين عقد على الصواب
والديانة سيرة على الصواب قال ابو مطيع البلخى قلت لابى حنيفة رضى الله عنه
فقال يتعلم الرجل الايمان يعنى احكام الدين والثبات عليه يعنى علم الحال
فهو ان يعرف العبد نفسه على اى حال هو فيكون مستعدا لاتيان ملك الموت
وعن هذا قال النبى عم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة اراد به علم
الحال والحال التى يكون فيها وقتا يعرف نفسه كما قال ايضا من عرف نفسه فقد
عرف ربه والشرايع والسنن اراد بهما الحلال والحرام وقوله والحدود اراد بها
علم الاجتناب عن المعاصى والايتمار بالاوامر قال الله تعالى ومن يتعد حدود
الله فقد ظلم نفسه وقوله واختلاف الامة رحمة اراد به علم النظر بوقايع
المعانى قياسا واستحسانا واستنباطا لا اختراعا من جهة النفس وهذا
لان الاشياء تعرف باضدادها فمن لم يعرف الكفر لا يعرف الايمان ومن لم
يعرف البدعة والضلالة لا يعرف الاهتداء والاستقامة فصل ثم اختلفوا
فى الاسلام والايمان قال بعضهم هما واحد لقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وقال بعضهم هما متغايران لقوله تعالى قالت الاعراب آمنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فقد غاير بين الاسلام والايمان الا ان الاصح
ما قال ابو منصور الماتريدى رحمه الله ان الاسلام معرفة الله تعالى بلا كيف و
محله الصدر ومصداقه قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه والايمان معرفة الله تعالى بالوحدانية والالوهية ومحله القلب لقوله تعالى
ولكن

ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم والقلب داخل الصدر والمعرفة
معرفة الله تعالى بصفاته ومحلها الفؤاد وهو داخل القلب والتوحيد معرفة الله تعالى
بالوحدانية ومحله السر وهو داخل الفؤاد وهذا معنى قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح المصباح الاية جعل الصدر بمنزلة المشكاة والقلب بمنزلة الزجاج و
الفؤاد بمنزلة المصباح والسر بمنزلة الشجر وداخل السر موضع يقال له الخفى وهو
موضع نور الهداية ولا صنع للعبد فيه سوى ان الله تعالى اذا اراد ان يهدى
عبده الضال يلقى نوره الخفى فيتلالا النور وهو معنى قوله تعالى نور على نور من
ربه ثم يتلالا ذلك النور الى السر فيقوم للعبد فعل التوحيد فيوحد الله تعالى ويتبرا
عن الاصنام ثم لا يسكن ذلك النور بل يتلالا الى الفؤاد فيقوم له فعل المعرفة
فيصير عارفا بالله تعالى بجميع صفاته ثم يتلالا ذلك النور الى القلب فيقوم له فعل
الايمان ثم يتلالا الى الصدر فيقوم له فعل الاسلام ثم ينتشر ذلك النور فى الاعضاء
فيتقاضى العبد بالاجتناب عن المعاصى والايتمار بالاوامر فان امره فاجابه
العبد الى ذلك صار مؤمنا تقيا حتى دخل تحت قوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وقيل للنبى عم من آلك قال الى كل مؤمن تقى الى يوم القيمة وقيل
للنبى عم من احب الناس اليك قال كل مؤمن تقى وان لم يجبه الى ذلك
زال عنه التقوى واتسم بسمة الفسوق بارتكاب المعاصى فيخاف عليه الشقاوة
ويرجى له حفظ ايمانه فاذا صار ههنا عقود اربعة التوحيد والمعرفة والايمان
والاسلام ليست هى بواحدة ولا هى بمغايرة فاذا اجتمعت صارت دينا واحدا
وهو قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وفى الكتاب اشارة بالايمان

والاسلام الى الخبر المروى عن النبى عم وهو معروف وابو منصور رحمه الله
انما ذكر الحقيقة قال فان استيقن بهذا واقر به فهو مؤمن لان الايمان
تصديق بالجنان واقرار باللسان فاذا صدقه بقلبه ولم يقر بلسانه
وهو فى امكان من الاقرار فانه لا يصير مؤمنا ما لم يقر بلسانه ولم يصدق
بجنانه قال ان انكر شيئا من خلقه فقال لا ادرى من خالق هذا كفر لان الله
تعالى خالق كل شئ وكذلك اذا قال لا اعلم ان الله فرض على الصلوة والصيام
والزكوة ام لا فقد كفر لان الفرض منصوص عليه وهو قوله تعالى اقيموا
الصلوة واتوا الزكوة فان قال آمنت بهذه الآية ولا اعلم تأويلها وتفسيرها
فانه لا يكفر لانه صدق بالتنزيل وان كان مخطئا فى التاويل قال فان اقر
بجملة الاسلام فى ارض الشرك وهو لا يعلم شيئا من الفرايض ولا شرايع الاسلام
ولا الكتاب ولا يتقى شيئا منها فانه مؤمن فان كان لم يعلم شيئا ولم يعمل به
قال الفقيه ابو الليث رح هذا يفيد فائدتين احدهما ان الايمان بالتقليد
صحيح وان لم يهتد الى الاستدلال خلافا للمعتزلة والاشعرية انهما لا يصححان
الايمان بالتقليد ويقولان يكفر العامة وهذا قبيح لا اقبح من هذا لانه
يؤدى الى تفويت حكم الله تعالى فى الرسالة والنبوة لان من اعطى الرسالة والنبوة
امر اولا بعرض الاسلام على الكفار فلو كان الاسلام لا يصح بالعرض
والتقليد لفات الحكمة فى الرسالة الا ان درجة الاستدلال اعلى من درجة
التقليد بالف مرة وكل من كان فى الاستدلال والاستنباط اكثر كان ايمانه
انور وهذا كما روى عن النبى عم انه قال لو وزن ايمان ابى بكر رض مع ايمان

جميع الخلايق لرجح ايمان ابى بكر يعنى من جهة النور والضياء لا من جهة الزيادة والنقصان
والفائدة الثانية ان الايمان اقرار باللسان وتصديق بالجنان والعمل بالشرايع لا من
الايمان وقالت السكاكية العمل من الايمان ومن هذا قالت بزيادة الايمان ونقصانه
واحتجت بقوله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا الا انا نقول معنى الايمان ههنا
هو التصديق ايمانا اى تصديقا اذ الايمان لجميع القرآن واجب والقرآن كان ينزل
على النبى عم آية آية وسورة فسورة فكلما نزلت آية كان يجب التصديق بها فمن لم يصدق
آية من القرآن فقد كفر كما لو لم يصدق بجميع القرآن فهذا تأويل الآية على ما بينا
ان الايمان عقد على الصواب فاذا انتقص شئ من العقد انحل كله ثم القول
بان العمل من الايمان اقبح من قول المعتزلة ان الايمان لا يصح بالتقليد لانه يؤدى
الى ابطال خطاب الله تعالى انما خاطب بالعمل من صح ايمانه حيث قال الله تعالى يا ايها
الذين آمنوا فلو كان الوضوء والصلوة والزكوة من الايمان لدخل فى خطاب الايمان
وبطل خطاب الامر بالعمل ويتوجه عليه خطاب الامر بالعمل بعد الموت والموت قاطع
للعمل لان الله تعالى شرط العمل الصالح مع الايمان واعطاء الثواب بقوله تعالى ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وقال الا من تاب وآمن وعمل صالحا وآيات نطقت بهذا
تدل على ان الايمان محله القلب والعمل محله الجوارح فمن جعل احدهما من الآخر
فقد ابعد النجعة لانه ابعد محله وكفى به شينا وقبحا وقوله ان نشهد ان لا اله
الا الله الى ان قال ان الله لا يفوض الاعمال الى احد اما الايمان فقد بيناه واما
تفويض الاعمال الى العباد فهو بيننا وبين القدرية فهم يفوضون تقدير الله تعالى
فى المعاصى والشر ويقولون بان الله تعالى بين الفريقين وفوض الاعمال الى العباد

ان شاء يختار الخير وان شاء يختار الشر وافعاله ليست بمخلوقة الله تع تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا واما عند اهل السنة والجماعة افعال العباد مخلوقة الله تع
وهو خالق الاعيان واحتجت بقوله تع فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
قلنا هذه الاية وعيد من الله تع ليس على تفويض الفعل الا ترى انه قال
انا اعتدنا للكافرين نارا يدل عليه قوله تع كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره
وما يذكرون الا ان يشاء الله والدليل عليه قوله تع والله خلقكم وما تعملون
وقال النبي عم اعملوا فكل ميسر لما خلق له فان قيل لو كان الله تع يقدر الفعل
ويخلقه فلم يعذبه على خلق نفسه قلنا الثواب والعقاب على استعمال الفعل
المخلوق لا على اصل الخلق ولهذا قال ابو حنيفة رض ان الاستطاعة التي يعمل
بها العبد المعصية هي بعينها تصلح العمل الطاعة وهو معاقب في صرف الاستطاعة
التي احدثها الله سبحانه وتع فيه وامر ان يستعملها في الطاعة دون المعصية
لا على احداث الاستطاعة ولهذا قلنا ان الاستطاعة مع الفعل لا قبله ولا
بعده لان كل جزء من الاستطاعة مقرون بكل جزء من الفعل وقالت القدرية
الاستطاعة قبل الفعل وهي موجودة في العبد استعملها كيف يشاء قلنا هذا
يوجب الاستغناء عن الله تع حيث يختار لنفسه ما شاء والاستغناء عن الله
كفر فان قيل يجب ان لا تنفي المشية ولكنا نقول المشية على نوعين مشية جبر و
مشية تفويض فمشية الجبر كخلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما ومشية
التفويض مثل قوله تع ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء
ويهدي من يشاء وقوله ولو شاء الله مشية جبر اي لو شاء الله تع لجبركم

على

على الاسلام ولكن يضل من يشاء مشية تفويض وهذا اعتقاد العدلية قلنا لهم العجب
من توهانكم وغباوتكم كيف قسمتم مشية الله تع قسمين كانكم شركاء الله وتعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا ثم نريكم قبح هذه المقالة ان الرجل اذا اجبر انسانا بين
امرين وفوض العمل بين طريقين يعني بين الخير والشر فان اختار الشر كان
معذورا اذ جعلتم العباد معذورين في ارتكاب المعاصي وان اختار الخير
يكون له على المفوض والمجبر اذن جعلتم للعباد منة على الله تع مثاله كما لو
اجبر الرجل امراته في القيام معه ان شاءت قامت وان شاءت فارقت فافهم
ان شاء الله تع ثم المذهب الصحيح هو مذهب اهل السنة والجماعة ان للعبد
فعلا على الحقيقة لا مجازا وقالت الجبرية لا فعل للعبد وله فعل مجازا لا حقيقة
ونرد عليهم فنقول ان قولكم هذا يؤدي الى اسقاط الرجاء والخوف من العبد
لانه لا يخاف على سوء فعله ولا يرجو على خير عمله وهذا كفر صريح لان في
زوال الرجاء قنوط قال الله تع لا تقنطوا من رحمة الله وقال عز وجل انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وفي زوال الخوف اسقاط العبودية
وتفوية الربوبية وهذا اشر من الاول فقد ضل الفريقان جميعا القدرية
باضافة صفة الله تع الى نفسها وهي خلق الافعال والجبرية باضافة افعاله
القبيحة الى الله تع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وتوسط ابو حنيفة واصحابه
رحمهم الله وقالوا الخلق فعل الله تع وهو احداث الاستطاعة في العبد و
استعمال الاستطاعة المحدثة فعل العبد حقيقة لا مجازا على ما بينا فسلموا من
الجبر والقدر وما اختلاف اخر بيننا وبين الاشعرية انهم يقولون الاستطاعة

التي تصلح للشر لا تصلح للخير وهذا قريب من الجبر ايضا بل هو عين الجبر لان
استطاعة الشر اذا كانت لا يصلح للخير صار مجبورا في فعل الشر وعن هذا جوزت
الاشعرية تكليف ما لا يطاق ونرد عليهم بقول الله تعالى لا يكلف الله نفسا
الا وسعها فان قيل قال الله تعالى خبرا عن النبي عم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا
به فلو كان الامر فوق الطاقة لا يجوز لكان هذا السؤال من النبي عم
لغوا كما لو قال لا تظلمنا ولا تجبر علينا قلنا سؤال النبي عم كان على سبيل
التخفيف لا على سبيل نفي الطاقة اصلا والدليل عليه سياق الآية ربنا ولا تحمل
علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الا يرى انك اذا رايت دابة
حملت حملا ثقيلا تقول حملت هذه الدابة فوق طاقتها فثبت ان تعلقهم
بهذه الآية من ركاكة العقل وقلة الفهم وذكر في كتاب الاسولة وجوابها
وكل ذلك يرجع الى ما ذكرنا فافهم ان شاء الله تعالى ثم ذكر بعد هذا الخبر
المعروف ولكن المراد من الخبر ان الشقاوة المكتوبة في اللوح المحفوظ
تتبدل سعادة بافعال السعداء والسعادة المكتوبة فيه تتبدل شقاوة
بافعال الاشقياء وقالت الاشعرية لا يتبدل عن ذلك وعن هذا قالوا
ان ابا بكر وعمر رضه كانا مومنين عند سجودهما للصنم وسحرة فرعون كانوا
مومنين في حال حلفهم بعزة فرعون واقرارهم بالالهية قلنا هذا مردود
عليكم بقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اثبت الغفران
لما سلف قبل الاسلام بالاسلام فلو كان الكافر مومنا قبل الايمان لفاتت
فائدة الغفران وتعطل كلام الرحمن وهذا من اقبح القبايح وقال عم

الاسلام

الاسلام يجب ما قبله والدليل عليه قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت يعني
يمحو المعاصي عند التوبة ويثبت التوبة وهذا قد اجتمعت عليه المفسرون
فان قيل القول بالتبديل يؤدي الى تجويز البداء على الله تعالى تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا قلنا هذا من قلة فهمكم الخسيس ثم ان في اللوح المحفوظ صفة
الله تعالى بل صفة العبد شقاوة او سعادة والعبد يجوز عليه التغيير من حال
الى حال وكذلك صفته متغيرة واما قضاء الله تعالى وقدره فلا تغيير فيها ولا
تبديل والقضاء صفة القاضي والمكتوب في اللوح المحفوظ مقضي محدث والحكم
غير محدث والمحكوم محدث والقدر غير محدث والمقدور محدث وتغيير
المقضي لا يوجب تغيير القضاء اذ الناس على اربع فرق فريق منهم قضي عليهم
بالسعادة ابتداء وانتهاء مثل الحسن والحسين وفريق قضي عليهم بالشقاوة
ابتداء والسعادة انتهاء مثل ابي بكر وعمر رضه وسحرة فرعون وفريق قضي
عليهم بالشقاوة ابتداء وانتهاء مثل ابي جهل واصحابه وفريق قضي عليهم
بالسعادة ابتداء والشقاوة انتهاء مثل بلعم وابليس فنفذ قضاؤه على ما
جرى فالتغيير للمقضي عليه لا للقضاء قوله فيمن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
فيتبعه على ذلك اناس فيخرج على الجماعة هل ترى ذلك قال لا فهذا يفيد ان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارتفع في هذا الزمان لانه ذكر بعده فقال
ان ما يفسد من استحلال المحارم وانتهاب الاموال اكثر مما يصلح وعن هذا قلنا
السلطان اذا كان جائرا فانه لا يجوز ان يخرج عليه بالسيف لما فيه من الفساد
ومن سفك الدماء وانتهاب الاموال قال ابو حنيفة رضه لا يغتر كم جور من جار عليكم

www.al-mostafa.com

ولا عدل من عدل لكم وعليه وزره وقال ابو مطيع البلخي رح هذا القول يفيد على
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتفع في هذا الزمان لان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ليس الا على الوجه لا على وجه الحسبة لله تع ثم ذكر بعد هذا احكام
الخوارج فلا يحتاج اليها وقوله فيمن قال لا اعرف الكافر كافرا فهو مثله لان
الاشيا لا تعرف الا باضدادها فلما لم يعرف الكفر لم يعرف الايمان وكذلك لو قال
لا ادري اين يصير الكافر فانه يكفر لانه شك فيه لان الله تع اعلمنا ان مصيره
النار فصل مسئلة الاستثناء في الايمان هي بيننا وبين الشكاكية ونرد عليهم
بقوله تع اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وما استثنى وقال خبرا
من السحرة آمنا برب العالمين من غير استثناء وقال الله تع اولئك هم المؤمنون
حقا وقال اولئك هم الكافرون حقا وقال مذبذبين بين ذلك وهم المنافقون
فصاروا على ثلثة اصناف ولم يذكر الصنف الرابع ولان الايمان عقد على ما
بينا فالاستثناء يبطله كساير العقود فان قيل روي عن النبي عم انه مر بمقبرة
فسلم عليهم وقال انا لاحقون بكم ان شاء الله تع فاستثنى في الموت افترى
ان الموت مشكوك فيه فكذلك نحن لا نشك في ايماننا ولكن يجوز الاستثناء فيه
قلنا سكوتكم كان خيرا لكم من تعلقكم بهذا الخبر لان النبي عم لم يستثن في الموت
وانما استثنى في اللحوق واللحوق مشكوك فيه اذ الفريق فريقان فريق في الجنة و
فريق في السعير فكل ما كان مشكوكا فيه يجوز الاستثناء فيه لقوله تع ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وكل ما كان متحققا لا يجوز الاستثناء فيه
كقولك هذا رجل ان شاء الله ولان من جوز الاستثناء في الايمان يجوز الاستثناء

في الكفر

في الكفر فقد كفر بالان الاستثناء في الكفر كفر مثله فان قيل انما يجوز الاستثناء في الخاتمة
لانه لا يدري ايموت على الايمان ام لا قلنا هذا استثناء في الثبات على الايمان وذلك
مشكوك فيه والاستثناء فيه واجب عندنا ايضا وكلامنا ثم انما وقع في الاستثناء
في الايمان فاذا بطل الاستثناء فيه في حال بطل في جميع الاحوال والذي نقل عن عبد
الله بن مسعود رض جواز الاستثناء فهو محمول في الثبات على الايمان او كان ذلك زلة
منه فرجع عنها وقوله فيمن انه من اهل النار فقد كذب لانه اذا قال انا من اهل الجنة
فقد اسقط الخوف من نفسه وان قال انا من اهل النار فقد اسقط الرجاء عن نفسه
مطلب ان المومنين في الجنة وكلاهما لا يجوز على ما بينا ثم اعلم بانه يجوز ان يقال في الجملة ان المؤمنين في الجنة
بلا شك لان في جملة المؤمنين الانبياء والرسل والاولياء ويجوز ان يقال ان
الكافرين في النار من غير شك فاذا شك فيه فقد كفر لانه انكر النص واما اذا اشير
الى واحد بعينه فان كان المشار اليه من الانبياء والرسل ومن شهدت لهم
الرسل والانبياء بالجنة فانه يجوز لك ان تقول هذا في الجنة بلا شك فان شككت
فيه فقد كذبت على الله ورسوله وذلك كفر وان كان ذلك المشار اليه من غير
الانبياء او من غير من شهدت له الانبياء بالجنة فانه لا يجوز لك ان تقول هذا
في الجنة الا بشرط وهو ان تقول ان مات على الايمان وكذلك في الكفار على هذا
وان كان ذلك ممن نطق القرآن بكونه من اهل النار ان يقطع القول عليه بانه
في النار والا فبالشرط قال ابو حنيفة رح من آمن بجميع ما يؤمن به الا انه قال
لا اعرف موسى وعيسى امرسلين ام غير مرسلين فانه يكفر لانه انكر النص
قال ابو حنيفة رض من قال لا اعرف ان الله تع في السماء ام في الارض فقد كفر لان

هذا القول يوهم ان يكون له مكان فكان كفراً قال الله عز وجل الرحمن على العرش
استوى فان قال اقول بهذه الآية لكن لا ادري ان العرش في السماء ام في
الارض فقد كفر ايضاً وهذا يرجع الى المعنى الاول في الحقيقة لانه اذا قال
لا ادري ان العرش في السماء ام في الارض فكانه قال لا ادري ان الله تعالى
في السماء ام في الارض قال الفقيه ابو مطيع اختلفوا في هذه المسئلة قالت
الكرامية والمشبهة بان الله تعالى على العرش علو مكانه وتمكن وان العرش
له مقعد ويصفونه بالقعود والنزول والمجيء والذهاب ويقولون هو جسم
لا كالاجسام تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً واحتجت بقوله تعالى الرحمن على
العرش استوى الا انا نرد عليهم فنقول العرش لم يكن فكان بتكوينه
فلا يخلو اما ان يكون كونه لاظهار عظمته وجبروته على خلقه واما
لاحتياجه الى القعود فلا يجوز ان يقال لاحتياجه الى القعود عليه لان
المحتاج لا يجوز ان يكون خالقاً لانه مقهور بحاجته والمقهور لا يكون
اميراً فكيف يكون رباً فاذا ابطل هذا الوجه صح الوجه الاول وهو ان يكون
لاظهار جبروته على خلقه ولا حاجة له اليه ثم معنى الاستوى يعني استواء
المملكة له لان كل شيء مقدوره والعرش مقدور الرب عز وجل وهذا
كما يقال فلان استوى على سريره ومقر رجليه يعنون بذلك استوا امور
الولاية وانقطاع المنازعة في الامارة عنه وتاويل آخر وهو معنى الاستواء
يعني استوى خلقه على عرشه كما قال الله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش اي استوى فعل التخليق وقد رده

على

8

على المشبهة فلم يبق لهم شبهة في الاستواء ثم نرد عليهم في الجسم فنقول ان الجسم
لا يخلو عن عرض وجوهر والله تعالى خلق الاعراض والجواهر فلا يوصف بها فان
قيل اليس يقال له شيء لا كالاشياء فكذلك يقال له جسم لا كالاجسام قلنا
الشيئية عبارة عن الوجود وفي نفي الشيئية نفي الوجود وذلك لا يجوز وليس
الجسم بمثابته الا ترى انه لا يقال للكلام جسم ويقال له شيء وشيء عبارة عن
وجوده ولهذا قلنا انه لا يجوز ان يقال المعدوم شيء خلافاً للمعتزلة فان قيل
فاي شيء يقولون في قوله تعالى خلقت بيدي قلنا اليد صفة وصف بها نفسه
نؤمن به وبجميع صفاته وعلى هذا تاويل اليد وغيرها من الوجه والعين
والقدم والقدرة والقوة لان زوال هذه الاشياء في الحاضر يوجب الضعف
وزوال القوة والله تعالى قوي بمعنى الجارحة والمعطلة تنكر ان تكون اليد
والوجه والعين صفة له فلا وجه لانكارها لان في ذلك تعطيل الالوهية و
تفويت صفاته مع ان لها تاويل صحيح والمشبهة وصفت الله عز وجل باليد
والقدم والجارحة وكلا الفريقين قد ضلوا وقالت القدرية والمعتزلة ان
الله تعالى في كل مكان واحتجوا بقوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله اخبر انه في السماء وفي الارض اله الا انا نقول لهم لا حجة لكم في هذه الآية
لانه لو كان المراد ما قلتم لكان وهو الذي في السما مكانيا فالوصف بالاله دل
على ان المراد به نفوذ الالوهية في السموات والارض ونحن نقول قول المعتزلة
في هذا اقبح من قول المشبهة لان قولهم يؤدي الى ان الله تعالى في اجواف السباع
والهوام تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً واما مذهب اهل السنة والجماعة ان

الله على العرش علو عظمة وربوبية لا علو ارتفاع ومكان ومسافة كما قال
ابو حنيفة رحمه تذكروه من اعلا لا من اسفل لان الاسفل ليس من الربوبية
والالوهية في شيء وروي في حديث ان النبي عم اتاه بامة سوداء فقال
يا رسول الله وجب علي عتق رقبة افتجزي هذه فقال لها النبي عم امؤمنة
انت فقالت نعم فقال لها اين الله فاشارت بيدها نحو السماء فقال اعتقها
فانها مؤمنة والمعتزلة تنكر هذا الخبر وترده وذكر في حديث معاذ بن جبل
ان شابا سأله فقال له ما تقول فيمن يصلي ويصوم ويحج البيت ويؤدي
الزكوة ويجاهد في سبيل الله غير انه شك في الله ورسوله فقال معاذ هذا
له النار فقال له فما تقول فيمن لا يصلي ولا يصوم ولا يحج ولا يؤدي زكوة
ماله غير انه مؤمن بالله ورسوله فقال هذا ارجو له واخاف عليه فقال
الشاب يا ابا عبد الرحمن كما لا ينفع مع الشرك عمل لا يضر مع الايمان ذنب ثم
مضى فقال معاذ ليس في هذا الوادي افقه من هذا الشاب رحمه الله
قد ذكرنا الاختلاف في هذا بيننا وبين الخوارج والقدرية في ركاب الكبيرة
غير ان ههنا اختلاف بيننا وبين المرجئة ان المؤمن في الجنة ولئن ارتكب
للكبيرة والمعاصي فانها لا تضر مع الايمان احتجوا بقول الشاب وعدم انكار
معاذ لقوله الا انا نقول خرج قول الشاب عقيب قول معاذ ارجو له واخاف
عليه فكان المراد من قوله ما هو المراد من قول معاذ لا يضر مع الايمان
شيء لان الايمان لا يرتفع بالكبيرة والدليل عليه ان الخوف واجب لان الله
تعالى امر عباده بالتقوى في غير اي من القرآن وهو يوجب الخوف وعدم

الخوف

الخوف يوجب اسقاط العبودية وتعطيل الربوبية وذلك غير جايز ابو حنيفة رح
من قال لا اعرف عذاب القبر فهو من طبقة الحشوية الجهمية الهالكية اعلم ان
هذه مسئلة اخرى وهي المعتزلة والجهمية والقدرية يجعلون ان العقل حاسة
سادسة كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس ويبنون الامور على عقولهم
ويقولون نرى ونشاهد ان الميت لا يتألم بالالم فانا في المشاهد لكن انا في الغايب
فلهذا انكروا تسبيح الجمادات ويقولون لو كان لها تسبيح لسمعناه وانكروا الميزان
والصراط ثم خروج اهل الايمان من النار والمعراج ورؤية الباري لان في
العقول لا تسع هذا كله فنرد عليهم ونقول ان العقول محدثة معرضة للعجز
والضعف والهلاك عما تلالاشي كما قال النبي عم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا
في الخالق يعني لا تحتاجون الى التفكر في الله تعالى لئلا تلاشي افهامكم وذهول
عقولكم فلعمري انه ان ثبت الحس للعقل فالمعقولات المدركات وهو يتوقف
في غير المعقولات حتى يرد السمع فيتبعه اذا كان سليما صحيحا غير سقيم مثل
اتباعه اياه في المنافع والمضار فارادت القدرية والمعتزلة ان يدركوا
كنه الربوبية بعقولهم العاجزة الكالة حتى مرضت عقولهم ثم سقمت افهامهم
ففوتوا المعرفة فزاحموا المنافقين في هذا قال الله تعالى في شان المنافقين في
قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم فكل عقل اذا كان سليما يتوقف
فيما لا يستدرك بالعقل حتى يرد السمع فاذا ورد السمع فيتبعه ومن الدليل
على ذلك ان عذاب القبر كاين قوله تعالى سنعذبهم مرتين جاء في التفسير
مرة في القبر ومرة في القيمة وقال الله تعالى وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك وهو

عذاب القبر وقال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر
جاء في التفسير ان العذاب الادنى هو عذاب القبر والدليل على تسبيح الجماد قوله
تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيمة ثم ان اصحاب الهوى والبدعة اصناف شتى كلهم في النار
وروي عن النبي عم انه قال افترقت بنو اسرائيل على اثنين وسبعين فرقة
وستفترق امتي على ثلثة وسبعين فرقة كلهم في النار الا السواد الاعظم
وقال عم من احدث حدثا في الاسلام فقد هلك ومن ابتدع فقد ضل
ومن ضل ففي النار الى آخر ما ذكرناه اعلم ان المشية صفة الشايي
والارادة صفة المريد والامر صفة الآمر والعلم صفة العالم والكلام صفة
المتكلم فان قال قائل صفات الله واحدة او متغايرة قلنا ليست هي واحدة ولا
متغايرة لانا لو قلنا واحدة فقد عطلنا صفاته وهو مذهب القدرية انهم
يجعلون الارادة والمشية والقضاء والقدر والحكم كلها على معنى العلم وعن
هذا ينفي المشية والارادة والقضاء عن الشر وكلام الله تعالى يرد عليهم في غير موضع
من القرآن وقد بينا ذلك وان قلنا هي متغايرة فقد اوقعنا المغايرة بين الذات
والصفات وهو مذهب المعتزلة والاشاعرة انهم يجعلون صفات الفعل محدثة
وذلك لا يجوز فلذلك لا تجوز المغايرة بين الذات والصفة ثم صفة الله تعالى
لا هو ولا غيره عند اهل السنة والجماعة وهي غير محدثة سواء من صفات
الذات ومن صفات الفعل ولا يوصف بعضها بالسبق على بعض بقوله لكن
سبقت مشيته وقالت القدرية هي غيره وتابعها الاشعرية وهذا فرع المسألة

اخرى

اخرى وهي ان صفات الفعل محدثة عندهم وقالوا انا نرى في الشاهد ان المكتوب
لا يكون الا بالكتابة ولا يحصل فعل البناء الا بالباني ولا المفعول الا بالفعل فكذلك
في الغايب وعن هذا قالوا انه خالق بخلقه ورازق برزقه وآمر بامره ومريد
بارادته ونحن نقول لم يزل خالقا ولم يزل رازقا ومريدا لم يزل كما نقول انه عالم
لم يزل عالما وقادر لم يزل قادرا وسميع لم يزل سميعا وبصير لم يزل بصيرا وفي هذا
اتفاق لانه من صفات الذات ثم صفات الذات الجلال والكبرياء والقدرة
والعلم والسمع والبصر والكلام وما سواها من صفات الفعل كالتخليق والترزيق
والفعل والارادة والمشية والقضاء والحكم ويرد على القدرية ثم الاشاعرة فنقول
ان الباني باني وان لم يبن والكاتب كاتب وان لم يحصل فعل الكتابة فكذلك
يجوز ان يكون الرب خالقا وان لم يخلق والدليل عليه انه لو لم يكن خالقا
قبل خلقه ثم احدث لنفسه فعل الخلق بخلق الخلق به لبطلت تلك الصفة عند
فراغه من فعل الخلق فيبقى عاجزا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد قال الله تعالى
كل يوم هو في شان ولان الشيء المحدث محل التغير كما لا يجوز التغير على ذاته
وصفاته الذاتية لا يجوز التغير على صفته الفعلية ولانه لو كان يحدث صفته
واسماه لكان شبيها بخلقه وهو لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ثم ان
المذهب الصحيح ان الله تعالى موصوف بجميع صفاته في الازل ذاتية كانت او
فعلية وان صفته لا هو ولا غيره على معنى انه لا تزايله كلون الشيء لا هو
عين الشيء ولا غيره ولم يرد بهذا التشبيه وانما اراد به ايضاح الكلام وسئل
ابو منصور عن صفة الله تعالى ما هي فقال لا هو ولا غيره قيل له لا هو ولا غيره

ما هو صفته فقال صفته لا مجاوزة عن هذا ثم يجوز ان يقال عالم بعلمه وقادر
بقدرته وهذا كلامه في جميع الصفات الذاتية لان الصفات الذاتية لما كانت
ازلية من غير خلاف لم يكن في هذا اللفظ جدل فاما في الصفات الفعلية
فلا يجوز ان يقال خالق بخلقه لتمكن اختلاف اصحاب الاهواء كيلا يقع فيه
الشبهة ومشايخ سمرقند قد احترزوا عن هذا ايضا فقالوا عالم
وله علم وهو موصوف به في الازل وقادر وله قدرة وهو موصوف بها
في الازل ومتكلم وله كلام وهو موصوف به في الازل لان الباء توهم الآلة
كما يقال قاطع بالسكين وضارب بالسيف ثم ههنا اختلاف آخر في الكلام
قالت المعتزلة الكلام مخلوق وبعضهم قال الكلام محدث ولم يطلقوا
عليه اسم المخلوق ولا فرق بين اللفظين واحتجوا بقوله تعالى انا جعلناه
قرآنا عربيا والجعل انما هو الخلق الا انا نقول هذا بين الاشعرية والمعتزلة
لان الجعل لا ينبئ عن الخلق كما قال تعالى خبرا عن الملحدين الذين جعلوا
القرآن عضين أفترى الجعل ههنا هو الخلق وقال تعالى وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا وقال تعالى وجعلوا الله شركاء الجن والدليل
عليه انه لو جعل القرآن محدثا لجاز الخرس عليه قبل احداث الكلام
والاخرس لا يصلح ان يكون اميرا فكيف يصلح ان يكون ربا فان قيل
المكتوب في المصحف ما هو قلنا كلام الله تعالى وكذا المقروء في المحاريب ولكن
الحروف والهجاء والاصوات والصوت كلها مخلوقة فكلام الله تعالى لا صوت
فيه ولا حرف ولا هجاء وعن هذا احترزوا مشايخ سمرقند فقالوا القرآن كلام

الله تعالى

الله تعالى ليس بمخلوق ولكن لا يقع على الحروف والهجاء والاصوات وقالت الاشعرية
ان ما في المصحف ليس بكلام الله وانما هو عبارة عن كلام الله تعالى عز وجل وحكاية
عنه وعن هذا جوزوا احراق المصاحف وما فيها وقال لان الكلام صفة والصفة
لا تزايل الموصوف الا انا نقول هذا الهوس من الاشعرية اكثر من هوس المعتزلة
لان المعدوم معلوم بعلم الله تعالى أفترى ان صفة العلم تزايله بكون المعدوم
معلوما فكذلك الكلام لا يوصف بالمزايلة لظهور المكتوب في المصاحف ولسنا
نقول ان الكلام حال في المصاحف حتى يكون قولا بالمزايلة يدل عليه انه لو لم يكن
المكتوب كلام الله تعالى لكان كلام الله معدوما فيما بين العباد فيؤدي الى تفويت
خطاب الله تعالى واما الاحدية والوحدانية فان الاحدية صفة للذات والوحدانية
صفة للفعل فيقال احد بذاته واحد بفعاله ثم احديته ووحدانيته ليست من
جهة العدد لان الاحدية والوحدانية من حساب العدد يحتمل الزيادة و
النقصان والشركة والمثال فيقال احد وواحد واحاد ووحيد لانه يقال فلان
رجل وحيد زمانه وفريد اقرانه واما احدية الرب جلت قدرته من جهة
نفي المثال والانداد عنه كما قال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قال ابو منصور
والكاف ههنا زيادة لانها لو لم تكن زيادة لكان يوهم ان له مثلا ليس كمثله مثل
فالمعنى ليس مثله شيء فاما وحدانيته من جهة نفي الشريك عنه في افعاله
كما قال تعالى فعال لما يريد ولهذا قيل في التمجيد احد لا مثل له واحد لا شريك له ثم
مسئلة المشية والارادة ذكرناها من قبل الا ان ههنا يقال سؤال آخر هل امر
الله تعالى بشيء ولم يشأ تحققه او يشاء شيئا ولم يأمر به خلقه بهذه العبارة قد

ذكرناه لانه خلق الكفر وشاءه ولم يأمر به وخلقه وامر الكافر بالايمان ولم يشاءه
له فان قيل مشية مرضية قلنا هي مرضية فان قيل اذن يعاقب الله عباده على
ما يرضى قلنا لا بل يعاقبهم على ما لا يرضى لانه يعاقب الكافر على كفره غير مرضي
فان قيل اليس قلت ان المعاصي والكفر بمشية الله تع ومشيته مرضية قلنا
نعم ان المشية والارادة والقضاء وجميع صفاته مرضية غير ان الحاصل من
العبد بمشية الله تع قد يكون مرضيا نحو الطاعات وقد يكون مسخوطا
كالمعاصي فاعتبر هذا بالاعيان انه خلق نفس الكافر بلا خلاف وليس
يرضى بنفس الكفر وكذلك الخمر ثم الخنازير فكذلك هذا في الافعال فان قيل هل
كان الله يقدر على ان يخلق الله كلها مطيعين كالملائكة قلنا نعم لقوله تع
فلله الحجة البالغة فلو شاء الله لهديكم اجمعين وقال تع ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم ثم اعلم ان الملائكة خلقوا للطاعة وهم
معصومون الا هاروت وماروت فانهما مخصوصان من بين الجملة و
الشياطين خلقوا للشر الا واحد منهم قد اسلم ولقي النبي عم فاسلم على يديه
وهو هامة بن الهيم بن ابليس لعنه الله فعلمه النبي عم سورة الواقعة
والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وقل يا ايها الكافرون
وسورة الاخلاص فانهم مخصوص من بينهم واما الانس والجن فانهم
خلقوا على الفطرة ثم اختلفوا في تفسير الفطرة فقالت المعتزلة هي الاسلام
وعن هذا قالت ان الكافر يكفر بعد الاسلام وارتداده بفعله من غير مشية
الله تع وقد مر الكلام في المشية والجماعة هي الخلقة كما قال الله تع فطرة الله

التي

التي فطر الناس عليها فقال تع الحمد لله فاطر السموات والارض اي خالقها
وقال عم كل مولود يولد على الفطرة الا ان ابويه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
اي يكونان سببا للتهود والتنصر ويمجسانه حتى يعرب عنه لسانه اما بحق
او باطل اي لو ترك على الخلقة التي ولد عليها لاستدل على خالقه الا ان ابويه
يهودانه وينصرانه كما قال في شان الالهة رب انهن اضللن كثيرا من الناس
اي صرن سببا للضلالة فاذن الانس والجن خلقوا على صفة الاسلام
وعلى صفة الكفر ثم من اهتدى اهتدى بهداية الله تع ومن ضل ضل
باضلال الله تع له كما قال تع يضل من يشاء ويهدي من يشاء فالهداية
والاضلال صفة الرب عز وجل والاهتداء والضلالة فعل العبد والرب تعالى
بجميع صفاته خالق لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فلم نجد مثله صفة
كما بينا والعبد بجميع صفاته مخلوق ثم الجن والانس غير معصومين عن الكباير
والصغاير الا المرسلين والانبياء عليهم الصلوة والسلام فانهم معصومون
عن الكباير لانهم لو لم يكونوا معصومين عن الكباير لم ينفكوا عن الكذب
لا يصلح للنبوة من غير معصومين عن الصغاير ليوقف الضعف في مقام
الشفاعة لان من لا يبلى بالبلية لا يرق على المبتلى فهذا هو الحكمة في زوال
العصمة عن الانبياء في الصغاير وبعض اصحابنا لم يتلفظ الصغاير وانما
يسمونها زللا ولا فرق بين اللفظين في الحقيقة وقالت المعتزلة الانبياء
والرسل معصومون من الكباير والصغاير لانهم لا يرون الشفاعة ثم ان
الرسل هم الذين يوحى اليهم بجبرائيل عم والانبياء الذين يوحى اليهم مع غير

جبرائيل عم انما يوحى اليهم مع ملك اخر او يرى في المنام او بشيء من الالهام ثم ان الرسول
له درجة الرسالة والنبوة جميعاً غير انه لا يؤمر باستعمال ما ظهر له في درجة النبوة قبل
ان يوحى اليه بمجيء جبرائيل عم فلذلك يكون زلة منه وصغيرة كما فعل داود عم وهو تزويج
امراة اوريا من غير انتظار الوحي بمجيء جبرائيل عم فكان ذلك زلة منه كما قال في كتابه
العزيز وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً واناب والنبي عم لما
انتظر الوحي في تزويج زينب امراة زيد لم يتزوج بما ظهر له من درجة النبوة
نجى من الزلة قال الله تع في قصته فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها هذا هو
الوجه في وقوع الانبياء في الزلل والصغاير وفيه وجه آخر وهو ان يتركوا الافضل
ويميلوا الى الفاضل فيكون ذلك زلة منهم كابينا آدم عم حين قال له ربه ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ثم ان ابليس وسوس لهما فقاسمهما وناشدهما
بالله حين نسي آدم عم النهي من طريق الافضل وظن ان ابليس يحترم اسم الله
تع بقربان الشجرة فكان تارك الافضل اذ الافضل له ان يرجع للامر ولا يدخل في
الاجتهاد فلما نسي الامر ودخل في الاجتهاد كان ذلك زلة منه حتى قال جل جلاله
وعصى آدم ربه فغوى هذا من الله تع على وجه الزجر والعيبة لا على وجه الكبيرة
والغواية فيه الا يرى ان آدم عم لما انتبه هو وحوا قالا ربنا ظلمنا انفسنا و
ان لم تغفر لنا وترحمنا قال الله تع فنسي ولم نجد له عزما فهذان الوجهان في
وقوع الانبياء والمرسلين في الزلل والصغاير ثم اختلفوا في تفضيل آدم ومحمد عم
قال بعضهم آدم افضل من محمد عم وقال بعضهم محمد افضل من آدم وهذا اصح من
الاول وقال بعضهم السكوت افضل لحرمة الابوة وهذا الاختلاف في ما بين

مشايخنا

١٧

مشايخنا اختلاف بيننا وبين المعتزلة قالت المعتزلة الملائكة افضل من المؤمنين
وقال اهل السنة المؤمنون افضل من الملائكة لان المؤمنين ركب فيهم الهوى
مع العقل والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى فلهذا يثاب المؤمنون
على اعمالهم ولا يثاب الملائكة على اعمالهم فحسبت المعتزلة ان الفضل بالاعمال
حتى قالت بتفضيل الملائكة على المؤمنين وليس كما حسبوا بل الفضل كما قال الله تع
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
اضاف التفضيل الى ذاته وهذا الاختلاف يرجع الى اختلافنا معهم في تفويض
الاعمال الى العباد ونفي خلق افعالهم وقد بينا ذلك ثم بعد الانبياء والرسل افضل
الناس ابو بكر ثم عمر بن الخطاب رض ثم اختلفوا في عثمان وعلي رض قال بعضهم عثمان
افضل من علي كما في مراتب الخلافة وقال بعضهم علي افضل من عثمان رض واختلفوا
في تفضيل فاطمة الزهراء وعايشة رض قال بعضهم عايشة افضل لان درجتها مع
النبي عم في الجنة وقال بعضهم فاطمة افضل وانما ارتفعت فاطمة تبعاً للنبي عليه السلام
قال الفقيه رح قد ذكرنا مسائل هذا الباب الا مسئلة واحدة وهي مسئلة خلق
الجنة والنار وهما مخلوقتان ام لا قالت الجهمية والمعتزلة غير مخلوقتان لان الله تع
ليس بعاجز عن خلقهما فيخلقهما وقت افتراق الفريقين ونرد عليهم في شان
الجنة بقوله تع اعدت للمتقين وفي النار اعدت للكافرين ولان قولهم يؤدي
الى تكذيب الله تع في خبره لانه تع خوف الكافرين في النار ورغب المؤمنين
في الجنة والتخويف به لغو وعبث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا في الكتاب
هما شيء او ليست بشيء هذا ايضا يختلف فيه ان المعدوم شيء ام لا قالت المعتزلة

عما شيء واحتجوا بقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم والزلزلة معدومة فسماها
الله شيئا الا انا نقول لهم لا يكون الزلزلة شيء عظيم وتكونها ووجودها لانه سماها
اي الحال شيء عظيم فان قيل ان المعدوم يسمى معلوما فلم لا يسمى شيئا قلنا لو لم نسمه
معلوما لوصفنا الله تعالى بالجهل وحاشا ان يوصف الرب بالجهل ولو سميناه شيئا
لقلنا بصحة الاشياء بنفسها وبقدمها وهو مذهب الزنادقة والدهرية ثم
الافلاكية وهم شر الطوائف لانهم ينكرون الصانع ويقولون بقدم الدهر و
يضيفون الامر الى الطبايع ونرد عليهم فنقول ان العالم محدث وان له محدثا
والدليل على هذا تغير الاشياء من حال الى حال من رطوبة الى يبوسة ومن صحة
الى ضعف ومن استواء الى اعوجاج فلو كانت بنفسها لما تغيرت عن حالها فلما
تغيرت عن حالها دل على ان لها مغيرا ومحدثا كما يحكى عن ابي حنيفة رح
انه ناظر دهريا والزم عليه الحجة فقال الدهري انما تغير الاشياء من حال الى حال لان
بناتها من الطبايع الاربع رطوبة ثم يبوسة وبرودة وحرارة فما دامت هذه الطبايع
الاربعة موجودة في صاحبها استوى ومتى غلبت الطبيعة منها على سايرها
زالت عن الاستواء فقال ابو حنيفة عند ذلك اقررت بالصانع والمصنوع والغالب
والمغلوب من حيث انكرت لانك قلت بان احد الطبايع تغلب على سايرها
وسايرها يصير مغلوبا فثبت ان الغالب غالب في الجملة فقد تعدينا من مسالتكم
فقلنا ان الغالب ليس الا الله عز وجل فجعل الدهري ساكتا فقال ابو حنيفة لي
ان اتكلم مع الخصم حتى يهذي وليس لي ان اتكلم حتى يخرس لان الخرس
معجزة والمعجزات للانبياء عم لا لغيرهم فان الجنة والنار شيء لانهما موجودتان

والساعة

١٩

والساعة لا تسمى شيئا لانها ليست مخلوقة الا انا لا نظهر للاحياء فاذا مات
الانسان ظهرت له واحتجت بقوله عم من مات فقد قامت قيامته الا انا نقول
معناه انه يظهر له حال سعادته وشقاوته من ضيق القبر وسعته وكونه روضة من رياض
الجنة او حفرة من حفر النار ولنزع الروح على الاسلام او على غيره والدليل عليه ان الساعة
منتشرة ما بين السماء والارض غير مقتصرة فلو كانت موجودة لكانت ظاهرة قال ابو منصور
رح ما اصوب القيمة في قول المعتزلة انها موجودة فيما بيننا ولا نظهر اهوالها واختلاف
آخر في الجنة والنار انهما تفنيان عند الجهمية والقدرية والمعتزلة الا ان المعتزلة
لا يصرحون بذلك لانهم يجعلون الثواب بازاء الاعمال والعقاب بازاء الكفر
والمعاصي الا انا نرد عليهم بقوله تعالى فلهم اجر غير ممنون وقال تعالى في نعيم الجنة لا مقطوعة
ولا ممنوعة فان قيل القول ببقاء الجنة والنار يؤدي الى الشركة مع بقاء الله تعالى وقد
قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه قلنا هذا من توهمكم وهوسكم فان الجنة والنار
لم تكونا مكانا بتكوين الرب جلت قدرته ابقاهما وتدومان بدوام الله ابقاهما ايضا
لا يوصف بصفات المخلوقين البتة فقد ذكرنا الكلام في الصفات وهو يغضب
ويرضى لان من لا يغضب ولا يرضى لا يكون آمرا وناهيا تعالى الله عن ذلك غير ان
غضبه ورضاه صفته لا هو ولا غيره و في الكتاب غضبه هو عقوبته ورضاه
ثوابه يعني مغضوبه عقوبته ومرضيته ثوابه لان عقوبته ناره وثوابه جنته
ولهما حدثتان الا ان عقوبته لما كانت بغضبه وثوابه لما كان برضاه جاز ان يقال
غضبه عقوبته وثوابه رضاه وقد ذكرنا الايمان مع تفاصيله ونوعه من قبل
في فصل مبتدعه وقد ذكرنا في الكتاب انتشار نور الايمان ايضا في جميع الاعضاء

من قبل قال اذا انطعت الاصبع يذهب الايمان منها الى القلب فهذا صحيح لان المعنى
الذى قام به الايمان فى الجسد وهو لا يتجزى فقام بذلك المعنى فان قيل اذا مات
العبد فاين يذهب ايمانه ايكون مع جسده او مع روحه قلت لا يوصف الا بذلك
ولكن بالمعنى الذى صار به العبد مؤمناً واصلا للايمان وبه صار صالحاً للعبادة
يبته فى حال الحياة وجعل ابا وصالحاً للعبادة فان قيل اى شئ ذلك المعنى قلنا
هى خوير الله تع جبينه على ما بينا من قبل فان قيل اين يذهب سابر اعماله قلنا
اتصلت بثواب الله تع او بعقابه فان قيل باى شئ يعرف الله تع قلنا فى ذلك
اختلاف قال بعضهم يعرف بالعقل وبه قالت المعتزلة وعن هذا قالوا بان الايمان
بالتقليد لا يصح ويقولون يكفروا العوام لان الناس عندهم فى العقل سواء وسووا
عقول الكفرة والفجرة بعقول الانبياء والرسل وقالت الاشعرية يعرف الله تعالى
بالله تع لا بغيره وعن هذا قالوا ان احد الا يعرف الله تع بحق معرفته وان كان
نبياً او مرسلا او ملكاً مقرباً وهو يعرف نفسه بنفسه حق معرفته وغيره من
الملائكة والمؤمنين يحاكون عنه ولا يتعجب منهم لانهم شاكون فى ايمانهم ونرد
عليهم بقوله تع شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم فالله تع جمع بين
شهادته لنفسه وبين شهادت الانبياء واولى العلم فمن اوجب الشك فى شهادة
العبد فقد اوجب الشك فى شهادة الرب وقال الله تع فى شان الكفرة ضعف
الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوا الله حق معرفته فهذا
اوقع التسوية بين الكافر والمؤمن وكفى به شيناً وقبحاً واما مذهب اهل السنة
والجماعة ان الله تع يعرف بتعريفه كما قال الله تع فهو على نور من ربه فاذا كانت

المعرفة

المعرفة بتعريفه فقد وقعت موقع الحقيقة ولكنا لا نعبد حق عبادته لان الواحد
منا اذا جمع عبادة اهل السموات والارض ثم قوبلت تلك العبادات كلها بقطرة
واحدة فى عينه ما قوبلت فان قيل اليس ان العبادة بتوفيقه فلم لا تقع موقع
الحقيقة قلنا لا نقول ان العبادة الخالصة لا تقع موقع الحقيقة وليس هى بحق
العبادة بل هى حق الله ولكن معنى قولنا لا نعبد حق عبادته لانا ضعفاء
عاجزين ولا ننفك عن التقصير وايقاع الخلل
فى العبادة وهذا المعنى معدوم فى المعرفة
والله اعلم بالصواب
واليه المرجع والمآب تم

تم بيد محمد ... ١٠٦١

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات

University
Copyright ©

مكتبة المصطفى الالكترونية
www.al-mostafa.com

www.مكتبة-المصطفى.com

Source / المصدر :

KING SAUD
UNIVERSITY

http://makhtota.ksu.edu.sa